(ترجمة)

كلمة التهنئة في الإنترنت:
www.bundespräsident.de

كلمة تهنئة
للرئيس الاتحادي يوآخيم غاوك
بمناسبة احتفال تسليم جائزة أفريقيا 2015
إلى حسين العباسي
19 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015 في برلين

مساء الخير! أو ربما يكون من الأفضل أن أقولها وقبل كل شيء باللغة العربية! فقد تعلمت خلال زيارتي لتونس قبل نصف عام أن هذه هي التحية التي يتبادلها الناس في هذا الوقت من اليوم في البلد الذي ينحدر منه الفائز بالجائزة اليوم.

كما أقول لكم "بونسوار" من كل قلبي. إن الكثير من الناس في بلدنا – وأنا منهم – يشعرون كجيران وأصدقاء بالتضامن مع فرنسا في هذه الأيام. نشعر أكثر من أي وقت مضى عقب هذه الاعتداءات الجبانة في عاصمة فرنسا بضرورة الدفاع الدائم عن الحرية والديمقراطية من جديد. يجب علينا ألا نسمح بأي مساحة للتطرف والإرهاب. وهذا لا يسري بالطبع على أوروبا فقط. فالناس يعانون في مناطق كثيرة في العالم، وخاصة في أفريقيا، معاناة جسيمة منذ وقت طويل من عنف الإرهابيين. وهناك مثال آخر دموي على ذلك، وهو الاعتداءات القاتلة التي قامت بها جماعة بوكو حرام بالأمس في نيجيريا. هذه الاعتداءات هي تذكير جديد لنا بأن المجتمع الدولي المتحضر مطالب وبشدة بالدفاع عن حقوق الإنسان العالمية.

السيد العباسي المحترم، أنتم تجسدون هذه القناعة بشكل خاص. سألتني مؤسسة أفريقيا الألمانية في ربيع هذا العام إن كنت أود تسليمكم جائزة أفريقيا عام 2015 شخصيا. لم يكن يمكن التنبؤ بهجمات 13 نوفمبر بعد، كما لم أكن أتوقع أن تسبقنا لجنة تحكيم أخرى، لجنة تحكيم تحمل كلمة "سلام" الهامة جدا في اسمها. الآن يمكن أن أهنئكم من كل قلبي مرتين: لحصولكم على جائزة أفريقيا وعلى جائزة نوبل للسلام!

إن تكريمكم في المرتين كفرد لا يمكن فصله عن عضويتكم في مجموعة تونسية هامة، وهي اللجنة الرباعية للحوار الوطني المكونة من الاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات

التقليدية والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان والهيئة الوطنية للمحامين التونسيين. أنشئ الرباعي التونسي في صيف عام 2013، أي بعد مرور عامين على انطلاق الآمال الكبيرة ولكن المبعثرة للربيع العربي كما يطلق عليه، ولعبتم دورا جوهريا في إنشاء هذه اللجنة الرباعية. لقد أضحيتم ممهدا للطريق نحو التحول السلمي والديمقراطية، وهذا في فترة شديدة الحساسية، حيث كان هناك خطر محدق باندلاع العنف والحرب الأهلية والفوضوية. لقد أنجزتم عملا هائلا داخل ومن خلال هذه الرباعية! وقد يمكننا نحن الأوروبيون تقدير عملكم الهائل هذا بشكل أفضل في ضوء الاعتداءات الأخيرة.

أرجو منكم أن تقدموا تهنئتي القلبية وخالص تحياتي أيضا إلى جميع زميلاتكم وزملائكم في الرباعية. صحيح أن حفل اليوم مكرس لكم شخصيا، أي لشخص واحد بعينه، لكن أعتقد أنكم تشاطرونني الرأي عندما أقول أن هذا التقدير الذي يعبر عنه الاحتفال يسري على جميع المشاركين ويتعين أن يحفز أكبر عدد ممكن من الناس.

إن عالمنا يحتاج إلى ناس أكثر مثلك يا سيد العباسي. عالمنا يحتاج رجالا ونساء يراهنون على الحوار والحلول الوسط، وليس على الديكتاتورية والأسلحة. إن عالمنا يحتاج إلى رجال وسيدات ديمقراطيين يقرون بأن الديمقراطية يمكنها أيضا أن تكون مرهقة ولكن يوضحون في الوقت ذاته أن الديمقراطية دائما تستحق كل هذا العناء. لماذا؟ لأننا لا نعرف نظاما سياسيا آخر يمنح الفرد كل هذا القدر من الحرية وإمكانيات التطور ويعطي المجتمع في الوقت ذاته إطارا آمنا ويعتمد عليه.

لطالما جسدتم هذه القناعة بقوة وإصرار يا سيد العباسي، ولم تسمحوا للانتكاسات أن تثبط من عزيمتكم. عندما كانت الفوضى تهدد بلدكم في عام 2013 بعد اغتيال السياسي المعارض محمد براهمي، كنتم أنتم من أظهر لتونس طريقا للخروج من هذا المسار بوصفكم أمينا عاما للاتحاد العام التونسي للشغل. كنتم أنتم من ثابر في دعواته للحوار السلمي. وكنتم أنتم من جمع الحكومة وقتها مع المعارضة والجمعية التأسيسية لأول مرة حول مائدة واحدة.

الآن تتسلمون جائزة أفريقيا لعام 2015 عن كل هذه الأمور.

ودعوني أضيف نقطة أخرى: إن التأثير الإيجابي لجهودكم كان شاسعا. فقد سارت تونس بالفعل في الطريق الذي رسمتموه. واجتازت تونس منذ ذلك الحين عمليتين انتخابيين تما في حرية وتبنت دستورا يعد نموذجيا على مستويات عديدة في العالم العربي. لقد أصبحت تونس أملا واعدا. وهذا يعد مصدر سعادة كبيرا لنا!

هذا التحول تطلب أيضا جهدا جبارا، وهو ما نشعر به جميعا. يجب أن أعترف أنني لسم عالما بأفريقيا مثل السيد هورست كوهلر، أحد أسلافي في المنصب. لكنني أرى التحديات الهائلة التي يواجهها كل بلد. خلال زيارتي ارتحت كثيرا لمعرفة أن السياسة والمجتمع المدني سارا في طرق متشعبة. وكثيرا ما توجب علي تذكر الصعوبات

المتعلقة بإقامة ديمقراطية حقيقية. الكثير منكم، أو ربما الجميع، يعلم أنني أنحدر من ألمانيا الشرقية. مازلت أتذكر جيدا كيف كان الأمر عندما توجب علينا نكتشف الديمقراطية ونحققها لدينا من جديد. أتذكر كم كان الأمر معقدا وكم كانت المقاومة المرتبطة بإعادة توحيد ألمانيا كبيرة! وهذا رغم أن الحظ كان حليفنا، فبوجود أبناء بلدنا من ألمانيا الغربية إلى جانبنا كان معنا شريك قوي، شريك رسم لنا طرق نجاح سياسيا واقتصاديا. وقد منح هذا الشريك مساعدات تنمية كان لها أثر استقرار لأولئك الذين كانوا بصدد بناء الديمقراطية.

الآن ننظر إلى تونس ونتساءل: أين المساعد القوي في التنمية؟ ويتوجب علينا أن ندرك أن الناس في تونس عليهم الاعتماد على أنفسهم فيما حصلنا نحن الألمان الشرقيون آنذاك على دعم هائل فيه، ومنه أيضا دعم مالي لعب دورا كبيرا. إن على تونس أن تعتمد على قدراتها الخاصة في كل هذه الأمور. وتضاف إلى ذلك التهديدات الخارجية والداخلية، منها على سبيل المثال حدود طويلة وضعيفة الحراسة نسبيا مع ليبيا. وعندما تتواجد دولة في خضم عملية انتقال ديمقراطي ويتوجب عليها استغلال جميع طاقاتها بشكل مكثف على جميع مستويات المجتمع، فإن هناك أمر آخر يتعين صياغته: وهو عملية مصالحة داخلية. يتعين الدفع بها هي أيضا إلى الأمام. فيجب أن يكون معروفا كيف يتم التعامل مع ممثلي الديكتاتورية.

كل هذه المهام التي عليكم إدارتها في الوقت ذاته. يسعدني أن تونس تواجه كل هذه المهام بنجاح وأنها ملتزمة رغم كل شيء بمبدأ الحلول الوسط. وقد أفرز هذا عن احترام كبير يكنه الكثيرون لبلدكم الآن. أريد أن أستغل فرصة هذه الأمسية لأقدم الدعم لمواطني بلدكم. أريد أن أنقل لهم من برلين اليوم ما سبق وقلته خلال زيارتي: هذا الطريق هو طريق حسن، بغض النظر من عدد البلدان التي ستسير فيه. هذا الطريق هو طريق حسن، حتى وإن كان يتطلب الكثير من الصبر. واصلوا المضي فيه. لقد تطلب الأمر فترات متباينة من البلدان الأوروبي لكي تحول مبدأ الديمقراطية الحياتي إلى واقع في الدولة. ولكن في كل الأماكن التي نجح فيها تحقيق الديمقراطية عاد ذلك بالخير على المواطنين.

يحب علينا بلا شك مواصلة النظر إلى تونس. ويجب أن يكون اهتمامنا هو إرساء الاستقرار في هذه الديمقراطية الشابة. يمكننا أن نساهم في ذلك بمختلف السبل. في حياتي السياسية سابقا كان في مقدمة اهتماماتي المضي قدما بمعالجة ظلم الماضي. لكن هناك التزامات وواجبات أكثر بكثير يتعين التغلب عليها في تونس. لنفكر مثلا في درء الاعتداءات الإرهابية أو في مكافحة الفساد، هذه الظاهرة البائسة التي تعوق التقدم في الكثير من دول التحول الديمقراطي. بالإضافة إلى ذلك فنحن نحتاج إلى بناء أفرع اقتصادية جديدة، وقبل كل شيء: علينا خلق الوظائف للشباب. إن تونس بلد يحتاج إلى شبابه كما يحتاج إلى انتعاش اقتصادي. يتعين معالجة كل هذه الأمور في الوقت ذاته. الكثيرون يتمنون أمرا وأنا منهم: إن تونس يمكنها أن تلعب دورا نموذجيا. يمكنها أن تشجع الكثير من البلدان الأخرى على هذه القارة.

أقول ذلك كصديق لبلدكم، يا سيد العباسي العزيز، لكنني أقول ذلك أيضا باعتبار التطورات التي تشغلنا جميعا هذه الأسابيع والأشهر: موجات اللجوء الكبيرة القادمة أيضا من القارة الأفريقية إلى القارة الأوروبية. إن هجر الناس لأوطانهم بحثا عن الحرية والديمقراطية والفرص المستقبلية يمثل تحديا كبيرا ليس فقط بالنسبة للدول المستهدفة وإنما أيضا لأوطانهم. فنحن نعلم أنه في الكثير من الأحيان يكون من يهجر البلد هو الشباب المؤهل جيدا. قوة هؤلاء الأشخاص تكون ناقصة في المكان الذي يرحلون منه ، وتكون أيضا ناقصة عندما يكون من الضروري مقاومة الظلم، وأيضا عندما يتعين صياغة أمور جديدة بهمة.

السيدات والسادة الكرام، عندما أنظر إليكم جميعا هنا، نواب برلمانيين وممثلي قطاع الأعمال والثقافة، أرى أنه من الرائع أننا نستطيع الالتقاء ببعضنا البعض. إنني فخور جدا بكل الإيجابيات التي أطلقت بالفعل. ولكن أتعلمون شيئا؟ في يوم مثل اليوم أدرك أيضا أننا نحب إلقاء كلمات مشيدة وأن نعبر عن العرفان أيضا تجاه الأشخاص الرائعين مثل الحائز على جائزة اليوم. ولكن ماذا عن الأيام والأسابيع والأعوام الأخرى؟ فنحن نتساءل: ماذا يمكننا القيام به لإرساء الاستقرار في هذه العملية الواعدة؟ أتمنى في هذه المواقف أن تكون مشاركتنا الديمقراطية في حركات التجديد المماثلة مرفوقة بأنشطة الاستقرار والابتكار الاقتصادي. نحتاج إلى انخراط مكثف للنخبة الاقتصادية لدينا، ولكن أيضا من قبل الغرف والاتحادات الصغيرة من قطاع الاقتصاد وكذلك المشاريع التجارية الفردية من أجل تحقيق الأسس المادية الضرورية فعلا في بلد مثل تونس. إن ديمقراطيتنا لم تزدهر فقط بسبب وجود عباقرة مثل كونراد أدناور، بل لأننا طورنا نظاما اقتصاديا مستقرا منح الناس الرخاء. ومن خلال هذا الرخاء أدركوا بشكل يومي أنهم يحبون الحياة في بلدهم. هكذا كان الأمر لدينا. لذلك فعلينا أن نربط تهنئات اليوم بالتحديد، والتي نقدمها من كل قلبنا، بجهود كبيرة: ما هو المزيد الذي يمكننا تقديمه لمساعدة البلدان التي قامت بخطوات أولى ناجحة جدا في عملية التحول بشكل أكثر استدامة؟

سوف ألخص الموضوع كالتالي: إننا نكرم اليوم حائزا عظيما على الجائزة، ونقوم بذلك بكل سرور. في الوقت ذاته فإن تسليم الجائزة هو أيضا تذكير وحافز على التفكير: التغيرات في تونس هي من مصلحتنا، وهي مصلحة إيجابية. إذا اعتبرنا أنفسنا شركاء بل وأصدقاء، فإن هناك التزامات خاصة مرتبطة بذلك. وأحد المهام الثابتة للمجتمعات الديمقراطيات هي إدراك ذلك. فنحن نتعرف على أنفسنا من خلال التحديات التي نقرر مواجهتها. يسري هذا على المسائل الكبرى التي تشغلنا اليوم في السياسة الداخلية مثلما يسري على السياسة الخارجية. فمن يرفض مواجهة التحديات سيجد نفسه انزلق إلى حالة يجد نفسه فيها في اغتراب عن نفسه. أما من يواجه التحديات الكبيرة فيرى نفسه مجددا في الطريقة التي يتعامل بها مع هذه المسؤولية.

إدراكا منا بكل ما سبق، فإنه من دواعي سروري الكبير، حضرة الحائز على الجائزة الكريم، أن يكون هناك أشخاص مجتمعين في بلدكم وفي ألمانيا يشعرون بالاهتمام أيضا في المستقبل برفاهية وطبيعة تونس وبنمو الديمقراطية.

وبذلك فإنني أرى المصافحة التي سنتبادلها حالا كرمز لأمنية مشتركة: نحن نحتاج إلى المزيد والمزيد من المصافحات بين أفريقيا وأوروبا!